في
التنوير الإسلامي

((٣٢))

مخاطر العولمة على الهوية الثقافية

تأليف :
د . محمد عمارة

فى التنوير الإسلامى ٣٢

مخاطر العولمة على الهوية الثقافية

تأليف

د. محمد عمارة

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

اسم الكتاب: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية
اسم المؤلف: د / محمد عمارة
تاريخ النشر: فبراير ١٩٩٩م . (طبعة أولى)
رقم الإيداع: ١٧٢٧ / ١٩٩٩م
الترقيم الدولي: I . S . B . N 977 - 14 - 0901 - 8
الناشر: دار **نهضة مصر** للطباعة والنشر والتوزيع .
المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة -
مدينة السادس من أكتوبر .
ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ - (١٠ خطوط)
فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦ .
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي – الفجالة – القاهرة
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ – ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥ .
فاكس: ٠٢/٥٩٠٢٢٩٥ . ص.ب: ٩٦ الفجالة .
إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابي – المهندسين – الجيزة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ – ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤ .
فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ . ص.ب: ٢٠ إمبابة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تحرير مضامين المصطلحات

من العيوب القاتلة فى حواراتنا الفكرية المعاصرة ، استخدام وترديد العديد من المصطلحات دون ضبط وتحرير لمفاهيم ومضامين هذه المصطلحات . .

وإذا كان أسلافنا قد قالوا : «إنه لا مُشَاحَّة فى المصطلح» . . فإن هذه المقولة صادقة فيما يتعلق باستخدام المصطلح . . أما فى مضامين ومفاهيم المصطلح ، فكثيرا ما تكون هناك مشاحة ، عندما تتوحد المصطلحات ، مع تغاير وتمايز مفاهيمها ومضامينها فى الحضارات المختلفة والتيارات الفكرية المتباينة . .

فمصطلح «السياسة» واحد ، تستخدمه – دون مشاحة – مختلف تيارات الفكر ، بمختلف الفلسفات والديانات والحضارات . . بينما مضمون هذا المصطلح مختلف ومتمايز باختلاف الحضارات والفلسفات . .

فالسياسة عند ميكافيلى (١٤٦٩ - ١٥٢٧م) – وفى الفكر الأوربى – هى «فن الممكن من الواقع . . والتحليل لعلاقات القوة التى تمارس من خلال عملية الحكم ، وفى إطار الدولة . .»

فهى فكر وعمل ، يعتمدان الصراع والقوة ، لتحقيق الممكن من بين خيارات الواقع ، وذلك دونما ضابط من القيم والأخلاق[1]

---

(١) (قاموس علم الاجتماع) - تحرير ومراجعة - أ . د . محمد عاطف غيث . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩ م .

بينما نجد لذات المصطلح - السياسة - فى النسق الفكرى الإسلامى - والسياسة الشرعية - مفهوما مغايرا ، يجعلها مضبوطة بمنظومة القيم الإسلامية . . «فهى الأفعال والتدابير التى يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد . . أى استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجى فى العاجل والآجل ، وتدبير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة . .»(٢)

فهى مضبوطة بمعايير العدل الإسلامى وفلسفة الاستقامة الدينية ومنظومة القيم والأخلاق . . ولا تقف مقاصدها عند المنافع التى تحقق الإشباع الدنيوى للإنسان ، وإنما تربط صلاح الدنيا بسعادة الآخرة ، التى هى خير وأبقى للإنسان . .

فالمصطلح واحد ، لا مشاحة فى استخدامه من قبل مختلف الحضارات والفلسفات والأنساق الفكرية . . لكن هناك اختلافات - ومن ثم مشاحة - فى المضامين والمفاهيم ، تستدعى وتستوجب تحرير مضامين المصطلحات ، التى اختلفت مضامينها - وخاصة بعد الاحتكاك الحضارى بين الغرب والإسلام - وذلك حتى لا تكون حواراتنا «حوارات طرشان» ، يرددون ذات المصطلحات ، بينما يفهم كل فريق مالا يخطر ببال الآخرين ! . .

ومثل مصطلح «السياسة» - فى هذا المقام - مصطلح «العدل» ، الذى يتحدث عنه الجميع ، بينما تختلف مضامينه فى الليبرالية

---

(٢) ابن القيم (إعلام الموقعين) جـ ٤ ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ . طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م . و (الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية) ص ١٧ - ١٩ ، ٥ . تحقيق : د . جميل غازى . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م . وأبو البقاء الكفوى (الكليات) تحقيق : د . عدنان درويش ، ومحمد المصرى . طبعة دمشق سنة ١٩٨٢ م .

الرأسمالية عنها فى الشمولية الشيوعية ، ناهيك عن مضامين العدل فى فلسفة ونظرية الاستخلاف فى الإسلام . .

وكذلك الحال مع مصطلح «الدِّين» . . الذى هو فى الإسلام - والديانات السماوية - : وضع إلهى . . بينما هو ، فى الفلسفة الوضعية : إفراز بشرى ، وبناء فوقى لطور من أطوار الاجتماع الإنسانى فى مرحلة طفولة العقل البشرى ! . .

ونفس الشئ بالنسبة لمصطلح «الإقطاع» . . الذى هو - فى تراثنا الدينى والحضارى - : تمليك منفعة الأرض الموات لإحيائها . . بينما هو فى الفكر الغربى : امتلاك الأرض وما عليها - من أدوات - ومن عليها - من فلاحين - عبيدا كانوا أم أقنانا ! . .(٣)

لذلك - وحتى لا يكون حوارنا حول «الثقافة والهوية العربية الإسلامية فى ظل العولمة» - حوار طرشان ، لابد من البدء بتحرير مضامين مصطلحات هذا الموضوع . .

● إن الثقافة - فى النسق الفكرى الإسلامى - : هى كل ما يسهم فى عمران النفس وتهذيبها . . فالتثقيف ، من معانيه : التهذيب . . وإذا كانت «المدنية» هى تهذيب الواقع بالأشياء ، فإن الثقافة هى تهذيب النفس الإنسانية بالأفكار والعقائد والقيم والآداب والفنون - وكلاهما - الثقافة والمدنية - عمران . . عمران للنفس وعمران للواقع ، ولذلك مثّلا شقى الحضارة - التى هى «العمران» - . .

وبسبب من تعلق الثقافة واختصاصها بعمران النفس الإنسانية

---

(٣) د . محمد عمارة (معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام) ص ١٤ - ٢٢ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧ م .

وتهذيبها ، تمايزت الثقافات بتمايز الحضارات ، بينما مثلت «المدنية» - غالبا - المشترك الإنساني العام بين الحضارات .. ولقد جاء مبحث التمايز فى الثقافات كثمرة لتميز النفس الإنسانية ، فى كل حضارة من الحضارات ، وذلك لتميز المكونات والمواريث والعقائد والفلسفات والعادات والأعراف التى مايزت بين «البصمات» الثقافية فى أمم هذه الحضارات ..

هذا عن مفهوم «الثقافة» .. وتميزّها بتمايز الحضارات ..

● أما الهُوِّيَة - في عرف حضارتنا العربية الإسلامية - : فإنها مأخوذة من «هُوَ .. هُوَ» .. بمعنى أنها جوهر الشىء .. وحقيقته ، المشتملة عليه اشتمال النواة على الشجرة وثمارها[4] .. فهوية الإنسان .. أو الثقافة .. أو الحضارة ، هى جوهرها وحقيقتها .. ولما كان فى كل شىء من الأشياء - إنسانا أو ثقافة أو حضارة - «الثوابت» و «المتغيرات» .. فإن هوية الشىء هى «ثوابته» ، التى «تتجدد» ولا «تتغير» .. تتجلى وتفصح عن ذاتها ، دون أن تخلى مكانها لنقيضها ، طالما بقيت الذات على قيد الحياة! .. إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان ، يتميز بها عن غيره ، وتتجدد فاعليتها ، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب ، دون أن تخلى مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات .

* * *

وإذا ما تساءلنا عن هوية ثقافتنا العربية الإسلامية ، التى هى جوهرها وحقيقتها وثوابتها ، فإننا نستطيع أن نقول : إن الإسلام،

---

[4] الجرجانى - الشريف - (التعريفات) طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨ م .

منذ أن تدينت به أغلبية هذه الأمة قد أصبح هو الهوية الممثلة لأصالة ثقافة هذه الأمة .. فهو الذى طبع ويطبع وصبغ ويصبغ ثقافتها بطابعه وصبغته .. فعاداتها وتقاليدها وأعرافها ، وآدابها وفنونها ، وسائر علومها الإنسانية والإجتماعية ، وفلسفة علومها الطبيعية والتجريبية .. ونظرتها للكون ، وللذات ، وللآخر .. وتصوراتها لمكانة الإنسان فى هذا الكون .. من أين أتى ؟ وإلى أين ينتهى ؟ وحكمة هذا الوجود وغايته ؟ .. ومعايير المقبول والمرفوض ، والحلال والحرام فى المسيرة الحياتية لإنساننا .. كل ذلك - وما مائله - قد انطبع بطابع الإسلام ، واصطبغ بصبغته .. حتى لنستطيع أن نقول ، ونحن مطمئنون كل الاطمئنان : **إن ثقافتنا إسلامية الهوية، وأن معيار الدخول والخروج فى ميدان ثقافتنا، والقبول والرفض فيها، هو المعيار الإسلامى..**

وإذا كان إسلام العقائد والعبادات خاصا بالأغلبية المسلمة من أمتنا ، فإن إسلام الثقافة والقانون والقيم والحضارة هو صبغة وصيغة جامعة للأمة كلها ، على اختلاف مللها وشرائعها .. وعن هذه الحقيقة - حقيقة إسلامية الهوية - لكل أبناء الأمة ، يقول واحد من أبرز المفكرين القوميين - ميشيل عفلق - (١٣٢٨ - ١٤٠٩هـ - ١٩١٠ - ١٩٨٩م) : «**لا يوجد عربى غير مسلم.. فالإسلام هو تاريخنا، وهو بطولاتنا، وهو لغتنا وفلسفتنا ونظرتنا إلى الكون.. إنه الثقافة القومية الموحِّدة للعرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.. وبهذا المعنى لا يوجد عربى غير مسلم، إذا كان هذا العربى صادق العروبة، وإذا كان متجردا من الأهواء ومتجردا من المصالح الذاتية.. وإن المسيحيين العرب عندما تستيقظ فيهم قوميتهم سوف يعرفون بأن الإسلام هو لهم ثقافة قومية يجب أن يتشبعوا بها ويحموها**

ويحرصوا عليها حرصهم على أثمن شيء في عروبتهم.. ولئن كان عجبي شديدا للمسلم الذي لا يحب العرب، فإن عجبي أشد للعربي الذي لا يحب الإسلام..»(٥)

إذن .. فهويتنا الثقافية هوية إسلامية .. وعلى هذه الحقيقة تجمع تيارات الأصالة الفكرية والسياسية فى بلادنا - إسلامية وقومية - بلسان أبرز منظريها، مسلمين ومسيحيين ..

وإذا كنا قد أوردنا «**شهادة قومية**» على إسلامية هويتنا الثقافية، فإن كلمات القاضى العادل والقانونى البارز والمشرع الفذ، الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا (١٣١٣ - ١٣٩١هـ ١٨٩٥ - ١٩٧١م) فى هذه القضية، هى «**شهادة الاسلاميين**» فى هذا الموضوع .. لقد قال السنهورى : «**أريد أن يعرف العالم أن الإسلام دين ومدنية - (حضارة) - وأن تلك المدنية أكثر تهذيبا من مدنية الجيل الحاضر.**

والرابطة الإسلامية يجب أن تفهم بمعنى المدنية الإسلامية، وأساس هذه الرابطة الشريعة الإسلامية..

وفى الإسلام، إلى جانب الدين، توجد المدنية، فأما الذين يؤمنون بتعاليم الدين فأولئك هم المسلمون، وأما الذين ينتمون إلى الثقافة الإسلامية فأولئك هم أولاد ذلك الوطن الاسلامى الكبير، وقد وسع المسلمين والنصارى واليهود، عاشوا جميعا تحت علم الاسلام طوال هذه القرون..

وما عسى أن تكون تلك الثقافة الإسلامية؟ أليست هى روح

---

(٥) ميشيل عفلق (الكتابات السياسية الكاملة) جـ ٣ ص ٣٣، ٢٦٩ وجـ ٥ ص ٦٨ طبعة بغداد سنة ١٩٨٧م وسنة ١٩٨٨ م .

الشرق، تمثلت علوما وفنونا وفلسفة؟ ألم يبن صرح هذه الثقافة عقول شرقية، تنتمي كلها إلى الاسلام، وإن كان ليس كلها مسلما؟

وبهذا المعنى الأخير يكون الإسلام والشرق شيئا واحدا.. فالشرق بالإسلام، والإسلام بالشرق.. والمدنية الإسلامية هي ميراث حلال للمسلمين والمسيحيين واليهود من المقيمين في الشرق، فتاريخ الجميع مشترك، والكل تضافروا على إيجاد هذه المدنية...»(٦).

هكذا شهدت وتشهد تيارات الأصالة – الإسلامية والقومية – على إسلامية هويتنا الثقافية . .

* * *

ومع الإسلام، في مكونات الهوية الثقافية، **تأتي لغتنا العربية**، التي هي لسان الإسلام ووحيه المعجز، والتي ضمن لها القرآن الكريم – منذ نزل بها – امتيازا على كل لغات الدنيا، هو الخلود الذي أراده الله لهذا القرآن، والحفظ الذي ضمنه الله لهذا الذكر الحكيم . . فمع أنها – كلغة – هي مواضعات بشرية، إلا أن ارتباطها بالقرآن – المطلق – قد ضمن لها وحقق فيها قدرا عظيما من الإطلاق الذي يتميز به الدين ونبأ السماء العظيم . .

ومع الإسلام، والعربية – في مكونات هويتنا الثقافية – **يأتي التاريخ** . . الذي تميز هو الآخر – في حضارتنا الإسلامية – بأنه تاريخ الأمة كما هو تاريخ الدين، ووعاء الذكريات الحافظ لخلود

---

(٦) د. عبد الرزاق السنهوري (أوراقه الشخصية) ليون في ١١ – ١١ – ١٩٢٢م ولاهاي في ١٥ – ٨ – ١٩٢٤م وليون في ١٨ – ١٠ – ١٩٢٣م. إعداد: د. نادية السنهوري. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م، و (الإسلام والشرق) ملحق صحيفة السياسة الأسبوعية – القاهرة – في ١٤ – ١٠ – ١٩٣٢م.

لأنه غير الوطن والمكان.. فهو حتى عندما يؤرخ «للوطن» فإن الوطن فيه هو شرط إقامة الدين.. وعندما يؤرخ «للدولة» فإن الدولة فيه هي حراسة الدين وسياسة الدنيا بهذا الدين.. فهي [illegible] كما هو الحال في الحضارات.. هذا التاريخ [illegible] والمقدس، لأن الإسلام -بعبارة السنهوري باشا- «هو دين الأرض كما هو دين السماء»[7].. وبعبارة ميشيل عفلق: «إنه [illegible] لا يمكن أن نصنف شيئًا فيه من المحسوس [illegible] حتى أتفه شيء للسماوي [illegible] والذي هو متجسد في عمق [illegible] تجربته، من خلال الإسلام فيها شيء مقدس [illegible] كل شيء في تجارب الأمم الأخرى يسمى [illegible] فيه المحسوس»[8].

هذا عن ثقافتنا.. وللهوية الإسلامية لهذه الثقافة العربية الإسلامية.

* * *

● ومن المقولات [illegible] في تحرير مصطلحاتها لابد أن [illegible] بالتمييز بينها وبين «العالمية».

ذلك أن «العالمية» تنوع في الأفكار والفلسفات والآداب والفنون والثقافات والحضارات.. جمعتها وإن تمايزت وتميزت بالخصوصية فإنها تجمع بين هذه الخصوصية وبين العالمية.. وبين التنوع في العالمية والتكوينية.. فالأدب العالمي هو الذي يتميز بالخصوصية

---

[7] د. عبد الرزاق السنهوري [illegible] مجلة [illegible] سنة 1936م

[8] ميشيل عفلق [illegible] ص [illegible] طبعة بيروت سنة [illegible] كتاب (التيار القومي الإسلامي) طبعة القاهرة سنة 1997م

الوطنية والقومية، وفى ذات الوقت تدخل به رعيته الإنسانية إلى العالمية وفى الإسلام، الذى مثّل الرسالة العالمية، على حين كانت الرسالات السابقة عليه محلية والذى تحددت عالميته منذ المرحلة المكيّة، وفى آيات القرآن المكّية ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ( ) ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ فى هذا الإسلام العالمى تتعايش عالميته مع الخصوصيات التى تميز ثقافته، وتميز فقه معاملاته، الذى يراعى ظروف المكان ومقتضيات الزمان، والعادات والتقاليد والأعراف

فالأصول، المتمثلة فى العقائد والعبادات ومنظومة القيم والأخلاق عامة ومطلقة وخالدة، بينما الفروع، المتمثلة فى فقه الواقع والسياسات والثقافات والقوانين تتعايش فيها مقادير من «الأصول العامة» ومقادير من «الخصوصيات الخاصة»، لأنها جامعة بين «الفقه الأحكام» وهو من الأصول العالمية وبين «فقه الواقع» وهو من الخصوصيات والمحليات

وكذلك حال عالمية الحضارة الإسلامية، فيها من العالمية صبغتها الإسلامية الضابطة منظومة القيم فيها، ومقاصدها التى تعيد الإنسانية وفيها من الخصوصيات ما تقتضيه دواعى الزمان والمكان والمصالح المتغايرة والأعراف المختلفة باختلاف الزمان والمكان

---

(٩) الفرقان ١

(١٠) الأنبياء ١٠٧

(١١) يوسف ١٠٤

وعالمية الإسلام، كدين، تعبير عن الحقائق الموهوبة، كدين

وعالمية الحضارة الإسلامية، كفروع وفلسفة متجددة والعطاء، عبر الزمان والمكان، تميزها عن محلية حضارات مثل حضارات الهند والصين واليونان .. تملك كل منها نفس حضارى تاريخى، بين الحضارتين الإسلامية والغربية، على نحو ما وقفت الفلسفة بين الغرب واليونان عند «صدور مصطلحها»، وليس «عالمية حضارتها»!

وإذا كان الإسلام قد جعل «عالميته» خيار و اختيار، لا قسر فيه ولا إكراه، عندما أعلن قرآنه الكريم: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (١٢)، لأن الإيمان - الذي هو التصديق القلبي البالغ مرتبة اليقين - وهو مما لا يتأتى بالإكراه، لأن الإكراه يثمر «النفاق» لا الإيمان

إذا كان هذا حال الإسلام الدين، فكذلك حال «عالمية» الحضارة التي صنعتها صبغة الإسلام الدين .. لأنها ثمرة لهذا الدين الذي لا إكراه فيه

فالطريق إلى العالمية، هنا طريق الاختيار و لا الإجبار

وكذلك الحال يجب أن يكون - مع ما تتوافق عليه الأمم والشعوب والدول والحضارات، مما يطلق عليه في عصرنا «الشرعية الدولية» و «النظام العالمي» و «المواثيق الدولية» و «القوانين الدولية» .. إذ يجب أن تكون ثمرة ما تتوافق عليه - بالحرية والاختيار - الأمم والشعوب والدول والحضارات، بما يمثل

---

(١٢) البقرة ٢٥٦

«قسمة مشتركة» بينها، أى القدر الجامع، الذى لا يقهر ولا يقسر ولا يدمر خصوصيات وتمايزات هذه الأمم والحضارات.

فالعالمية هى ثمرة التفاعل الحر والاختيارى بين الحضارات المتعددة والمتمايزة، تمثل القاسم المشترك والجامع لهذه الأمم والحضارات، أى المشترك الإنسانى العام بينها، والذى لا يلغى التمايز فى الخصوصيات والمميزات..

* * *

لكن «العولمة» - التى يدور عنها الحديث الآن - تعنى شيئا مغايرا لهذه «العالمية» [illegible] وإن شئنا الدقة، فإنها القسر والقهر والإجبار على لون من الخصوصية، تحوله بالقهر ليكون عالميا فالمنظومة العالمية [illegible] هى حاصل جمع خصوصيات حضارية تصطبغ عالمية بالتوافق والحرية والاختيار.. بينما العولمة هى قسر وقهر يعولم خصوصية حضارية بعينها، عندما تجتاح خصوصيات المقهورين [illegible] ففى العالمية تحرير للإنسان [illegible] وفى العولمة الاحتكار للإنسان، الذى يُحتشر ويُشحن فى القطار الذى صنعه ويقوده الأقوياء!.

بل إن مصطلح العولمة دلالته شاهدة على أنها قسر وقهر لا حرية فيها ولا اختيار [illegible] فهو مثل غيره من المصطلحات التى أتت وتأتى على «وزنه الصرفى» «فَوْعَلة» - من مثل «العولمة» أى القسر والقهر على قالب غير ملائم [illegible] و«الفرنسة» أى القهر على أن تصطبغ غير الفرنسيين فرنسيين [illegible] ومثل ذلك «الرُّوسنة»

جعل عصر الرؤوس رؤوس و«حضرة» جعل خير لأعصر عصر و«الأمركة» وكذلك «الفبركة» و«العكشة» و«الشوشرة» إلى آخر ما بُني على هذا «الوزن الصرفي» من مصطلحات

إن العولمة هي اجتياح الشمال للجنوب، اجتياح الحضارة الغربية ممثلة في النموذج الأمريكي للحضارات الأخرى، وهي التطبيق العملي لشعار «نهاية التاريخ» الذي روجوا به للادعاء بأن النموذج الغربي الرأسمالي هو القدر الأبدي للبشرية جمعاء، وهو منطق يستخدم في عملية الاجتياح مقولة صراع الحضارات التي تعني في موازين القوى الراهن أن تصرع الحضارة الغربية ما عداها من الحضارات.

* * *

نظرة تاريخية على الجذور والخلفيات

لكن.. وبعد هذا الضبط والتحرير لمفاهيم مصطلحات «الثقافة» و«الهوية» و«العالمية» و«العولمة».. هل يحق لنا أن نهاب هذا القسر والقهر والاجتياح الغربي لثقافتنا وهويتنا، أمام أمر محدث وجديد؟.. أم أن لأمتنا ولثقافتنا العربية والإسلامية تاريخًا طويلًا وقديمًا مع هذا القهر والقسر والاجتياح؟

● لقد عاش الشرق تحت هيمنة الغرب عشرة قرون، بدأت بفتوحات الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م)، وانتهت بفتوحات الإسلام التحريرية في القرن السابع الميلادي.. وفي ظل تلك الغزوة حدث تغريب لثقافة الشرق، وقهر حتى لعقائده الدينية.. وساد الفكر الهليني مدارس الشرق الفلسفية طوال تلك القرون، وكانت الحاكمية للقانون الروماني حتى جاءت الشريعة الإسلامية فحررت العقل القانوني الشرقي من قوانين جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م)، بعد أن حررت جيوش الفتح الإسلامي أوطان الشرق من جيوش الروم البيزنطيين..

● وعندما عاد الغرب تحت أعلام الصليب (٤٨٩هـ - ١٠٩٦م)، لاستعادة الشرق من الإسلام، لم تكن لدى الغرب يومئذ حضارة مزدهرة تغري بالاستلهام.. بل كان فرسان إقطاعه - كما وصفهم الأمير الفارس أسامة بن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤هـ ١٠٩٥ - ١١٨٨م)

« مثل السهام ، ليست لديهم سوى قضية نصب .»
فكانت غزوة عسكرية صرفة ، ضربت كل صفحاتها ، ورغم كل ثرائها عن ما تهدمت قلاعها وحصونها ، وذهبت حضارتها العسكرية

● لكن الغرب عاد مرة ثالثة في الغزوة الاستعمارية الحديثة التي بدأت بالالتفاف حول العالم الإسلامي في عصر العام الذي سقطت فيه غرناطة ٨٩٧هـ ١٤٩٢م) وتم فيه اقتلاع الإسلام من غرب أوربا ثم اقتحمت قلب عالم الإسلام بوطء الغازي حملة بونابرت على مصر (١٢١٣هـ ١٧٩٨م)

وفي هذه الغزوة الحديثة التي تصاعدت بنودها حتى عمت عقب هذه «سايكس بيكو» (١٣٣٤هـ ١٩١٦م) ووعد بلفور (١٣٣٦هـ ١٩١٧م) وسقوط الخلافة الإسلامية (١٣٤٢هـ ١٩٢٤م) كان لدى الغرب من الحضارة والثقافة ما يغري فمارس عوامله بالشرق في ثقافته وقيمه مع حرصه من أنهم لدى [illegible] لكن ظلت العلاقة بينه وبينهم في حدود العدوانية والاستعمار والترهيب، فلم تعقد هدنة في الأخير

ولقد بدأ الغرب غزوته من ثغرات الأقداس

فبونابرت (١٧٦٩ ١٨٢١م) قد أعلن وهو في الطريق إلى مصر أنه سيجند عشرين ألفاً من أبناء الأقليات لتكون جنوده ومواطني لأنفسهم في [illegible] وفي حصار عكا أصدر نداءه إلى يهود العالم وهو على أبواب «عكا» سنة ١٧٩٩م ليعقد معهم الشراكة ، التي بدأت وطالت واستمرت بين الغرب والغزوة الغربية حتى الآن !

وفي سياق هذه الخيانة كوّن نابليون من شباب الأقباط والنصارى الشوام والأروام عسكر فيلقاً حربياً، بقيادة المعلم يعقوب حنا (١١٥٨ - ١٢١٦هـ ، ١٧٤٥ - ١٨٠١م) الذي عهد إليه خليفة نابليون الجنرال كليبر (١٧٥٣ - ١٨٠٠م) **«الأمر بالقبض في المسلمين مما يشاء، حتى تطاول النصارى، من القبط والنصارى الشوام، على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم وأظهروا حقدهم، ولم يبقوا للصلح مكاناً، وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»** كما يقول مؤرخ العصر عبد الرحمن الجبرتي (١١٦٧ - ١٢٣٧هـ ١٧٥٤ - ١٨٢٢م)(١٣)

● وحتى بعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر (١٢١٦هـ ١٨٠١م) كانت خيانة الترغيب والترهيب قد جعلت للتغريب جماعة من أنصار المعلم يعقوب حنا خرجوا في ركاب جيش الاحتلال، وأخذوا يلحون على نابليون في باريس أن يستخدمهم في تغريب مصر وفرنستها، فكتبوا إليه يقولون «إن الوفد المصري، لدى فرنسا، **المصريون الباقون على ولائهم لك، يستشرفون لمصر ما ترضاه لها من نظم عندما تعود إليها من فرنسا.»**(١٤).

فكانت هذه هي بداية الخيانة بإحلال النظم والتشريعات الأوربية محل نظائرها الإسلامية، منذ أن تحرر الشرق من القهر والتغريب الرومانية، بالفتوحات الإسلامية، في القرن السابع للميلاد

---

(١٣) (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) جـ ٥ ص ١٣٤، ٣٥ تحقيق حسن محمد جوهر، وعمر الدسوقي، والسيد إبراهيم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م

(١٤) د. أحمد حسين الصاوي (المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة) ص ١٢٩، ١٣٠ - ملحق رقم (٧) طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦م.

● وفي مرحلة «الغواية بالترغيب والترهيب» هذه، نجح الفرنسيون في جعل «الشباب الماروني» وكأنه «مدرسة إرساليات» لصالح التغريب في محيطه العربي والإسلامي... وتحدثت عن هذه «الرسالة» مراسلات قناصلهم في بيروت. فقالت: إن حكومة فرنسا ستحقق بين هذه العائلات المارونية، من خلال نشر اسمها وثقافتها الفرنسيتين نقاط نفوذ جديدة معها ومع البلد، ورموزًا جديدة وثمينة للاعتراف بنفوذها... وإن خدمة المصالح الدينية يعني خدمة الحضارة، التي هي في الوقت نفسه مصالح السياسة الفرنسية... في جعل سوريا جسمًا أكثر أهمية من مستعمرة... وتأمين هيمنة بلدنا على منطقة خصبة ومنتجة... وتكوين جيش متفان لفرنسا في كل وقت، وذلك حتى تنمحي البربرية العربية لا إراديًا أمام الحضارة المسيحية لأوروبا»(١٥).

هكذا أفصحت مراسلات القناصل عن مقاصد مدارس الإرساليات الفرنسية، في تكوين «جيش ثقافي» ماروني، يحقق في جانب الخيرات المادية للاستعمار... التغريب، الذي يجعل حضارتنا (البربرية... كما قالوا) تنمحي - لا إراديًا - أمام الحضارة المسيحية الأوروبية!

ولقد حققوا - بفعل الغواية... والترغيب والترهيب... بعضًا من هذه المقاصد التي حددوها...

فأول من نادى بإحلال اللهجات العامية محل اللغة الفصحى وذلك حتى تتقطع أوصال الأمة... وتقوم القطيعة المعرفية بينها وبين دينها وتراثها، فتفقد إسلامية هويتها، وذاكرتها التاريخية -

---

(١٥) محفوظات الخارجية الفرنسية لسنوات ١٨٤٠ - ٨٤٢م، ١٨٤٨م، ١٨٩٧، ١٨٩٨م

وكان من دعاة ذلك هو أمين شميل (١٢٤٣ - ١٣١٥هـ ١٨٢٨ - ١٨٩٧م) وهو ماروني، من خريجي هذه المدارس التي أقامتها هذه الإرساليات - الذي دعا - في مصر سنة ١٨٨١م - وتولى الرد عليه العالم المجاهد عبد الله النديم (١٢٦١ - ١٣١٣هـ ١٨٤٥ - ١٨٩٦م) بمقال في صحيفة «التنكيت والتبكيت» جعل عنوانه: «إضاعة اللغة تسليم للذات»!

وكان من دعاة المادية والإلحاد هو شبلي شميل (١٢٧٦ - ١٣٣٥هـ ١٨٦٠ - ١٩١٧م) أحد خريجي هذه المدارس الإرسالية.

وكان من دعاة العلمانية اللادينية وواحد من خريجي هذه المدارس هو فرح أنطون (١٢٩١ - ١٣٤٠هـ ١٨٧٤ - ١٩٢٢م).

ولقد قام هذا «الجيش» المربى التنصيري في خدمة «الحملة المسيحية الأوربية» لتحقيق هذه المقاصد - مقاصد تغريب حضارتنا لأوربتها، ثم خصصوا للأوربة أقوى مؤسسات ثقافية وفكرية وإعلامية - من مثل صحيفة «المقطم» (١٣٠٦ - ١٣٧١هـ ١٨٨٩ - ١٩٥٢م) التي وصفها عبد الله النديم بأنها «**الصحيفة الإنجليزية التي تصدر في مصر**» - ومن مثل «المقتطف» (١٢٩٣ - ١٣٧١هـ ١٨٧٦ - ١٩٥٢م) التي كانت ديوان التبشير بنظريات تغريب الفكر العربي - حتى لقد وصف عبد الله النديم «الجيش» الذي يحرر صحفهم، بأنهم «أعداء الله وأنبيائه، **الذين أنشأوا لهم جريدة جعلوها خزانة لترجمة كلام من لم يتدينوا بدين، ممن ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر**

الطبيعة والتراكيب الكيماوية، ويرجعون الكائنات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الحق. وقد استتر هؤلاء الأطباء تحت اسم فلسفة علمية، وما هي إلا معاول يهدمون بها عمود الأديان».

● وقد تجسد على يدي هذا «الخبث التغريبي العلماني» مثقفون بلغت بهم الكراهية للإسلام والاستهانة بحقائق الإيمان الديني حد «عبادة الحضارة الغربية»، من مثل سلامة موسى (١٣٠٥ - ١٣٧٧هـ ١٨٨٨ - ١٩٥٨م) الذي لخص مذهبه فقال: «كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة.. توضحت أمامي أغراضي.. وهي تتلخص في أنه

يجب علينا أن نخرج من آسيا[١٧] وأن نلتحق بأوروبا، فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها.. فالرابطة الشرقية سخافة، والرابطة الدينية وقاحة.

أريد تعليما أوروبيا لا سلطان للدين عليه ولا دخول له فيه
وحكومة كحكومات أوروبا لا كحكومة هارون الرشيد والمأمون
وأدبا أوروبيا أبطاله مصريون لا رجال الفتوحات العربية
وثقافة أوروبية لا ثقافة الشرق ثقافة العبودية والتوكل على الآلهة

---

(١٦) مجلة الأزهر، العدد التاسع والثلاثون، ص ٩٢٣ - ٩٢٤.

(١٧) آسيا في عرف الاستشراق = تعني: الإسلام. وهي تعني ذلك عند سلامة موسى، بدليل أن الرجل كان يعيش في مصر - الإفريقية - وليس في آسيا الآسيوية.

ونشر العامية لغة الهكسوس، لا العربية الفصحى لغة التقاليد العربية والقرآن.

والتفرنج في الأزياء لأنه يبعث فينا العقلية الأوربية.

هذا هو مذهبي، الذي أعمل له طول حياتي سرا وجهرة، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب(١٨).

● وبشر بهذا «النموذج الغربي» الذي بشر به هذا «الجيش المتغربي» مثقفون عادوا عن «اجتهادهم الخاطئ» في مرحلة النضج الفكري - من مثل الدكتور طه حسين (١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ ١٨٨٩ - ١٩٧٣م)

الذي كتب في مرحلة شهرته يقول: «إن كل شيء يدل على أنه ليس هناك عقل أوربي يمتاز عن هذا العقل الشرقي الذي يعيش في مصر وما جاورها... وإنما هو عقل واحد مركب من عناصر ثلاثة:

١ - حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن.

٢ - وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه.

٣ - والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان.

وإذا صح أن المسيحية لم تخرج العقل الأوربي عن يونانيته، فيجب أن يصح أن الإسلام لم يغير عقل الشعوب التي اعتنقته، والتي كانت متأثرة بالبحر الأبيض المتوسط. فجوهر الإسلام ومصدره هما جوهر المسيحية ومصدرها، والقرآن إنما جاء متمما ومصدقا لما في

---

(١٨) سلامة موسى (اليوم والغد) طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م. وانظر كتابنا: (الإسلام بين التنوير والتزوير) ص ٩٦ - ١٥٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

الإنجليز ... فالسبيل واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره، وما يُحمد منها وما يُعاب ... ولقد التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع ..»[19]

● وهذا الذي كان يمهد له في المشرق العربي الحشد «المثقف» من خريجي مدارس الإرساليات في ظل حراب الاستعمار، كانت تمهد له في المغرب العربي الإدارة الفرنسية الاستعمارية. تعددت المقاصد: محو الهوية الثقافية الإسلامية، واستخدام الترغيب والترهيب في تعميم النموذج الغربي بالبلاد وإحلال منظومة قيمهم، بل ولغتهم وقوانينهم، محل نظائرها العربية والإسلامية.. لقد أرادوا فصل الإسلام عن اللغة العربية، وفصل القانون عن الشريعة الإسلامية.. وذلك لإحلال الفرنسية محل العربية، وإحلال القانون الفرنسي محل فقه المعاملات الإسلامي.. وتحويل الإسلام إلى عقيدة لا سلطان لها في المجتمع والدولة والحياة.. وتحويل العربية إلى لغة ميتة تشبه اللاتينية..

وقال عن مقاصدهم هذه ..: إن الأمة الفرنسية هي التي فتحت البلاد العربية، وهذا يخولها حق اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في هذه البلاد.. لذلك يجب أن نفصل بين الإسلام والاستعمار، فالعربية هي رائدة الإسلام، لأنها تُعَلَّم من القرآن.. وفصل الدين عن القانون

---

(١٩) «مستقبل الثقافة في مصر» جـ ١ ص ٢٨، ٢٩، ٢٣، ٢٣، ٤٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م

المدني، واندمج العرف في القانون الفرنسي، بدلا من أن يندمج في القانون الإسلامي. وحصر الإسلام في الاعتقاد وحده. وبهذا لا يهمنا كثيرا أن يصف الإسلام الشعبي كله، وإن كانت من القرآن تشوه رجال لغة لا يفهمونها. فالديانة الكاثوليكية تستعمل لغة اللاتينية والإغريقية والعبرية في قداديسها».[٢٠]

تلك هي الحدود والخصائص التي مثلت مقاصد وغايات [illegible] العروة العربية لوصل العروة وعاصم الإسلام، على امتداد القرنين الماضيين. وهي مرحلة «عولمة الترغيب والترهيب».

وعند هذا الحد، نتساءل:

عن الجديد، الذي حمله الغرب ليتمثل في علاقاته بنا من مرحلة عولمة الترغيب والترهيب التي لم تعرف حرية الاختيار بإطلاق - إلى مرحلة «العولمة»، عولمة النموذج القيمي والثقافي والحضاري، التي تجتاح [illegible] تجتاح [illegible] التغريب - من حرية واختيار؟؟.

---

(٢٠) محمد السماك: الأقليات بين العروبة والإسلام ص ٥٧، ٥٩ طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.

مرحلة العولمة

إن تطور علاقة الغرب بالشرق والشمال بالجنوب من مرحلة القوة للترغيب والترهيب التي تم تنفيذها في كل حروبنا في الأخير إلى مرحلة العولمة، والقسر والقهر تعدى تأثيره على كل الحدود والسدود، واجتاح كل ألوان الخصوبة والاختيار ليس منعته ضعف فيه لأن أكثر ما كان عليه في المرحلة السابقة من رد كان العكس هو الصحيح فأمست الآن في مرحلة مستنفدة وإغراء القوة التغريبية هو الآن أقل تأثيرًا مما كان عليه في السابق، رغم تعاظم سطوة مؤسسات تبث وتصدر التغريب وذلك لأن عيوب النموذج الغربي وأمراضه قد ظهرت الآن أكثر مما كانت ظاهرة في القرن الماضي وحال المغتربين من مثقفينا هو الآن أكثر بؤسًا وأعظم إفلاسًا من حالهم إبان المد الكبير للانبهار بالتغريب ..

وأيضًا فليس المرجح في تعاظم مخاطر التغريب، والوصول إلى عولمته، هو زيادة قوة الغرب الآن عما كانت عليه في المرحلة السابقة وإنما الجديد، الذي انتقل بالتغريب من مرحلة غواية الترغيب والترهيب إلى العولمة التي تريد القسر والقهر والاجتياح لخصوصياتنا الحضارية والثقافية والقيمية، هو تحول الغرب كحضارة من مرحلة الصراعات بين دوله القومية، وحقبة الحروب الاستعمارية بين إمبراطورياته وأصبح تحوله لمرحلة التنسيق

والصراع الاجتماعي بين الليبرالية الرأسمالية والشمولية الشيوعية، فلأول مرة ومنذ الاحتكاك العسكري بين الغرب وبين [illegible] يتحول الغرب هذه المناقضات العدائية، والصراعات المسلحة بعد سقوط الغرب تناقضات مطلقة، عند حدود [illegible] الداخلية للصراع المسلح فتوحدت فلسفة صدام الحضارات الأخرى وتجمع عقليته المحررة، وأصبح التهميش والمناقضات التي كانت تستهدف منها شعوب الساعية إلى التحرر الوطني من الاستعمار التقليدي وعلى أن نموذجه هو نهاية التاريخ، وقدر البشرية، وأن صراع الحضارات، لا التعددية الحضارية والثقافية هو الأسلوب الوحيد للتعامل مع الحضارات والأمم غير الغربية فكان هذا التحدي هو «العولمة» التي تدور حولها الحديث عولمة القيم للنموذج الغربي، والزعم أنه هو النموذج العالمي، والسعي لفرضه على حضارات الجنوب.

وإذا نحن شئنا نماذج مجرد نماذج لهذا الذي يريدونه باسم العولمة قيمًا وحدودًا على سبيل المثال

في منظومة القيم:

في ظل هيمنة الغرب على المؤسسات الدولية وخاصة مجلس الأمن الدولي الذي أصبح شبيه مجلس الأمن القومي الأمريكي! أخذ الغرب يقنن منظومة قيمه في مواثيق يسميها «دولية»، ليفرضها - باسم الأمم المتحدة - على العالم بأسره صنع ذلك في مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة سنة ١٩٩٤م وفي مؤتمر المرأة - في بكين سنة ١٩٩٦ م - ،

وكنموذج لهذه الحقيقة، رأينا تسويد قيم الإباحية الغربية، في وثيقة المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، فتجعل

الجنس – الذي تسميه «الصحة الجنسية والصحة التناسلية، تعني التمتع بأعلى مستوى ممكن من الصحة الجنسية» تجعل هذا الجنس، كالغذاء، حقًا من حقوق الجسد الإنساني، وذلك بشرط أن يكون «مأمونًا ومسئولًا»، ودون شرط الشرعية والحلال والمشروعية في هذه المعاشرات الجنسية.

ومع إباحة هذه المعاشرات الجنسية للأفراد – وليس للأزواج فقط – وفي الإطار المثلي – بين الشواذ والشاذات – الأمر الذي تجاوز احترام الأسرة وحرمتها – مع جعل هذا «الحق» يصل للمراهقين والمراهقات – في الجنس، والحمل والإجهاض، والولادة حق للجميع

وإذا كنا نشكو من أحكام «الفصل السابع» في ميثاق الأمم المتحدة، التي تختص شعوبنا بالحصارات والعقوبات – فإن «الفصل السابع» من وثيقة مؤتمر السكان يتحدث عن هذه الإباحة الجنسية، فيقول: «إنها حالة الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة، المنطوية على أن يكون للأفراد (لاحظ تعميم الأفراد) من جميع الأعمار، أزواجًا وأفرادًا (كذا!). فتيانًا وفتيات، مراهقين ومراهقات، قادرين على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة – (لاحظ عدم اشتراط الحلال والشرعية) – هي كالغذاء، حق للجميع، ينبغي أن تسعى جميع البلدان

بتوفيره في أسرع وقت ممكن، في موعد لا يتجاوز عام ٢٠١٥م» أي أنه أكثر من «إصلاح» [illegible] فستسعى لتحقيقه جميع البلدان في أسرع وقت ممكن، وقبل سنة ٢٠١٥م، ووجب على جميع البلدان [illegible]

بل ولا تكتفي هذه الوثيقة بذلك، وإنما تتجاوز «إباحة هذه الإباحة» إلى حيث تدعو «للتدريب والترويج والتعزيز» لهذا «السلوك الجنسي المأمون والمسئول»[32]

ولا تكتفي هذه الوثيقة بتعبير «من جميع الأعمار» الذي يشمل المراهقين والمراهقات [illegible] تنص على حقوقهم وحقوقهن في هذه الإباحة الجنسية، فتتحدث عن «حماية وتعزيز (وليس مجرد إباحة) حقوق المراهقين والمراهقات الناشطين جنسيًا في الصحة الجنسية والإنجابية والسلوك الجنسي المأمون والمسئول [illegible] والخصوصية [illegible] والسرية [illegible] وتنظيم الأسرة، ورعاية الأمومة المبكرة، مع تخفيض حالات الحمل لدى المراهقات، ومحاربته بتغيير [illegible] عوامل [illegible]، وحمايته دون حدوث الزيجات المبكرة، ولا سيما إباحة [illegible] عن الزواج المبكر مع إشراك الأبوين والأسر والمجتمعات المحلية والمؤسسات الدينية والمدارس ووسائل الإعلام وجماعات الأقران في القيام بهذه الحماية لهذه الحقوق ..»[33]

---

[21] وثيقة برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية - طبعة القاهرة ٥ [illegible] ٥ سبتمبر سنة ١٩٩٤م - الترجمة العربية الرسمية - الفصل السابع الفقرة [illegible] ٥

[22] المصدر السابق - الفصل السابع الفقرات ٣٦، ٣٤، ٣٢، والفصل الثامن الفقرات ٣٥، ٣١

[23] المصدر السابق الفصل السادس الفقرات ٧، ١ والفصل السابع الفقرات ٢، ٥، ٩، ٤٣، ٤٦، ٤١ والفصل الحادي عشر الفقرة ٨

ولم تكتف هذه الوثيقة بمصطلح «الأفراد» الذى لا يحصر الأسرة القائمة على الزواج الشرعى وحده، فذهبت للحديث عن ضرورة «تغيير الهياكل الأسرية»، وعن أنه «ينبغى القضاء على أشكال التمييز فى السياسات المتعلقة بالزواج وأشكال الاقتران الأخرى (أى الاقتران القائم على غير الزواج)»[٢٤]، فالهدف (كما تقول الوثيقة) هو مساعدة الأزواج والأفراد فى تحقيق أهدافهم الجنسية والتناسلية»

ومع تغيير «الهياكل الأسرية» تحدثت الوثيقة، لا عن «مساواة المرأة بالرجل»، وإنما عن «تمكين المرأة»! وعن «**دمج الرجل فى المنزل، ودمج المرأة فى المجتمع**»، فقالت «بوجوب التشديد على مسؤوليات الذكور فيما يتعلق بتربية الأطفال، وأداء الأعمال المنزلية، وتمكين المرأة واستقلالها، والتخفيف من مسؤولياتها فى العمل المنزلى، وإدماجها بشكل كامل فى الحياة المجتمعية ...»[٢٥]

تلك نماذج من منظومة القيم الغربية، التى فرضتها وعولمتها الحضارة الغربية، باسم المنظمة الدولية والتى نصت فى وثيقتها على أنه «ينبغى للحكومات أن تلتزم على أعلى مستوى سياسى بتحقيق الغايات والأهداف الواردة فى برنامج العمل، وأن تقوم بدور قيادى فى تنسيق تنفيذ أعمال متابعة ورصده

---

(٢٤) المصدر السابق. الفصل الثانى عشر فقرة ٢٤ والفصل الخامس فقرة ٥ والفصل الثانى - المبدأ ٧ - والفصل السابع - الفقرات ١٠، ١٢، ١٧، ١٨، ٢١ - والفصل الرابع - فقرة ٢١ والفصل السادس فقرة ٧

(٢٥) المصدر السابق. الفصل الرابع الفقرات ١١، ٢٦، ٢٩.

وتنظيمها، وعمل الصحافة والنقابات، وتعاون الدولة بكفاءة لتنفيذ هذه التدابير»[26]

وحتى عندما أشارت هذه الوثيقة إلى أن «رسم السياسات السكانية حق سيادى لكل أمة» نعت - فى نفس الوقت - هذا الحق السيادى، عندما نصت على «ممارسة هذا الحق تستند للمعايير الدولية لحقوق الإنسان ...»[27]

هذا عن مثال ونموذج لعولمة منظومة القيم الغربية

* * *

وفى حقوق الإنسان:

وكما نقف على تعريف الغرب - فى مرحلة عولمة الترغيب والترهيب - بعصرنته فى مفاهيمه لمنظومة حقوق الإنسان، فقد آن الأوان لنعرض عليه هذه المفاهيم العربية العصرية عن حقوق الإنسان

فالإنسان - فى المفهوم العربى - هو بالنسبة للأصل، وليس مطلق الإنسان.

- والحقوق - بمفاهيمها العربية - هى وقف على هذا الإنسان العربى ... فلا يستثنى منه حرمان من هذه الحقوق ... إلا إذا كان المقصود هو التدخل فى شئون الدولة، أى التعرض أو إعاقة حقوقها فى السيادة الوطنية والقومية، باسم المعايير والمفاهيم العربية لحقوق الإنسان

---

(٢٦) المصدر السابق. الفصل السادس. الفقرة ٧ والفصل الرابع. الفقرة ٩

(٢٧) المصدر السابق. الفصل الثانى. المبدأ ٤

فحق تقرير المصير، من الحقوق الطبيعية للإنسان.. لكن الإنسان محروم - في مخططات العولمة الغربية - من حق تقرير المصير.. حدث ذلك ويحدث على امتداد عالم الإسلام.. من كشمير إلى بورما.. إلى الفلبين.. إلى الصين.. إلى فلسطين.. وحتى البوسنة، والسنجق، وكوسوفا.. إلخ.. إلخ.

واختيار القانون الذي تُحكم به الإنسان، حق من حقوق الإنسان.. اللهم إلا إذا كان هذا الإنسان مسلمًا، وكان هذا القانون هو الشريعة الإسلامية.. فإن الأمر يصبح «أصولية» تمثل خطرًا يهدد العالم، والتطرف، والتشدد، والرجعية، والظلامية والإرهاب!.

والسيادة - في الدول المعاصرة والوطنية والقومية - هي حق من حقوق الإنسان.. اللهم إلا إذا كانت هذه الدول عربية أو إسلامية.. فإن انتقاص سيادتها يصبح جزءًا من مخططات العولمة لا تشعر به ولا تعترض في دولهم العربية.. فانتقاص سيادتها على الأرض وفي السماوات وفي المياه، قد جعلته العولمة من «حقوقها» نحن فقط!

ومثل ذلك «حق التسلح» لحماية الأمن الوطني والقومي، هو حق سيادي من حقوق الدول.. اللهم إلا إذا كانت عربية أو إسلامية، فإن نزع سلاحها، أو تقييده يصبح «حقًا» للقوى المهيمنة والعولمة!

وللأقليات - من حقوقها أن تقيم دينها إن كانت أقليات دينية، وأن تحافظ على تميزها الثقافي واللغوي إذا كانت أقليات

قومية .. وذلك دون أن تشهر «فيتو» على «هوية الدولة وثوابتها» ، التي هي حق الأغلبية .. أما إذا كانت هذه الأقليات مسلمة في بلاد غير إسلامية ، فإن الحرمان من حقوقها في إقامة دينها يكون هو نصيبها .. من هدم مسجد في الهند .. إلى تجريد الفتيات المسلمات من حشمتهن الشرعية في أوربا .. ولكنها إذا كانت هذه الأقليات الدينية غير مسلمة في البلاد الإسلامية ، فإنها - حينئذ - لا تكتفي لها العولمة بإقامة دينها ، وإنما تجعل منها «الفيتو» ضد إسلامية الدولة وثوابتها في المجتمعات الإسلامية .. بل وتتخذ منها ثغرات لاختراق الأمن الوطني والقومي والحضاري .. وتكأة لكي يشرع الكونجرس الأمريكي للبلاد معايير الثواب والعقاب !! .. ذلك هو حال العولمة .. ونموذج لهذا الحال - في منظومة حقوق الإنسان .

* * *

وفي الاقتصاد :

حتى العولمة تقول بالاندماج في حال من «البؤس الفاحش» لا يرضى ويقبل به إلا الخاطئون !! .. فلو أن عولمة في الاقتصاد ، كان على شيء من العدل ، أو قدر من التوازن ، أو درجة من الرشاد ، لما كانت عولمة هذا الاقتصاد كارثة تزيد التعاسة في هذا الميدان .

ويكفي عندما بلغ «النظام» الاقتصادي «العالمي» ، في ظل «الرأسمالية المتوحشة» التي يريدون لها أن تكون قدر العالم ، الذي ينتهي به التاريخ الإنساني - عندما يبلغ هذا «النظام»

الاقتصادي في بعض الدول من الاختلالات الهيكلية والمعوقات والفوارق الفاحشة، والمظالم البشعة، وتخلق الأزمة[٢٨]. ثم عولمة هذا «الاقتصاد» الذي هو غربي في الأساس تصبح تعميمًا للسوق، وبشاعة الفاحشة، وتحويل المضاربة والسمسرة المالية» التي «مغامرات مالية»، سريعة الكر والفر، تدمر الاقتصاد العيني بدون أسباب لها نظرة مضاربات ولا علاقة لها بالمراكز المالية الحقيقية للاقتصاد العيني الذي تصيبه هذه المغامرات والمضاربات بالدمار، على نحو ما حدث للنمور الآسيوية، ويحدث للبورصات التي تعصف ويهدد بعصف الاقتصاد الرأسمالي العالمي الذي تريد العولمة دمجنا فيه[٢٩].

وهكذا أصبحت العولمة المالية غابة «تدعم ذئاب المال» والمقصلة التي تودي بحياة الاقتصاديات التي لا يرضى عنها ولا عن توجهاتها أهلها سادة «الاقتصاد المالي» وعتاة المضاربات والمقامرات والسمسرة الدولية - وهذه الطبقة محدودة معظمها منهم من اليهود الذين احترفوا المعاملات الربوية، والتحكم في ذلك منذ ظهور الرأسمالية في أوروبا، والذين يتطلعون بالتقدم الربوي إلى هذه «العولمة المالية» التي تتحكم في اقتصاديات العالم بأسره.

● وقد تحدث الدكتور محمود عبد الفضيل على ما تمثله هذه العولمة

---

[٢٨] تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨ م الصادر عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة نقلًا عن مقال صلاح الدين حافظ «هل أصبح العالم قلعة محصنة؟» الأهرام في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٩٨ م

[٢٩] د. محمود عبد الفضيل «أزمة نظام مالي عالمي» وهو مقال به عرض لمراجعات بعض الاقتصاديين الغربيين، ومنهم الدكتور بول كروجمان، والبروفسور أمين تركر» الأهرام في ١٥ يونيو سنة ١٩٩٨ م

لاقتصادية من حصاد الغرب والشعوب الضعيفة وكانت والمفاوضات حول الحرب التجارية التي حدثت بين مصر ودول السوق الأوربية خير مثال

[illegible] فرضت الدول الأوربية على مصر قيودًا لتعوق دخولها الأسواق الأوربية بالمنسوجات المصرية وحدثت أزمة بين مصر ودول [illegible] خسرت فيها التجارة المصرية ٤٠٪ من صادراتها [illegible] وفرضت فرنسا والدول الأوربية المستقلة هذه الحملة ضد مصر [illegible] يقل عن حجم [illegible] ورغم حققت مصر مع فرنسا [illegible] مشى على حملة فرنسية على مصر [illegible] حيث بينما صدرت مصر إلى فرنسا ما قيمته ٤٠ مليون من الدولارات وصدرت فرنسا إلى مصر ٧ مليارات من الدولارات [illegible] وصدرت مصر إلى إيطاليا ٢٫٧ مليونا من الدولارات، وصدرت إيطاليا إلى مصر قيمتها مليار من الدولارات(٣٠)!

وهذا مثال [illegible] على الاختلال في هذه "الشراكة" العولمة.. وإذا كانت هذه هي "المشاركة" فما بالنا [illegible] العولمة الكاملة للاقتصاد؟!

* * *

وفي الدِّين

[illegible] فيها مرفوض أيضا العولمة في الدين [illegible] العالم وفي مقدمته العالم الإسلامي [illegible] فبعد أن كانت [illegible] الكنائس الغربية في مرحلة عولمة الترهيب والترغيب [illegible]

---

(٣٠) انظر حديث [illegible] حسني مبارك الأهرام في أول أكتوبر سنة ١٩٩٨م

عند تعملهم على تنصير بعض المسلمين ، فإن لم يكن فتشكيك بعض المسلمين في دينهم ، أو في مضمون الدين ، [illegible] هذه الأحلام . في عصر العولمة ، تتصاعد إلى حملة التنصير كل المسلمين وعلى صفحة الإسلام من الوجود [illegible] فهم يشنون حربا دينية ، ويوسسون لا أخلاقية ، لا علاقة لها بمقاصد الدين [illegible] كل دين ولا بحرية الدعوة ، ستار في حق كل صاحب دين [illegible] وتحدث هذه الهجمة التنصيرية على عالم الإسلام ، رغم تراجع النصرانية في الغرب ذاته [illegible] بكل أسلحته ومؤسساته وبكراهيته للإسلام فهم يحاربون تنصير المسلمين بدلا من أن يعملوا على تنصير أوربا وأمريكا

ولعل [illegible] مؤتمر التنصيري الذي عقد في "كولورادو" بأمريكا في مايو ١٩٧٨م ، هو الإعلان بهذه المرحلة الجديدة [illegible] مرحلة العولمة [illegible] تنصير كل المسلمين [illegible] وبحسب بروتوكولات هذا المؤتمر مقاصد هذه المرحلة الجديدة ، ووضع مؤسسات تعمل على هذه المقاصد ، ووفروا الإمكانات المادية والعلمية والبشرية اللازمة لتحقيقها .

وبعد أن عقدت بروتوكولات قسوسية للتنصير في مؤتمر "كولورادو" ، لخصت التجربة السابقة لتنصير المسلمين ، تلك التي لم تحقق شيئا يذكر أو يروى جهود التي بذلت [illegible] فقالت : «لا تمكننا بعد اليوم اعتماد الأساليب القديمة للتنصير ، في مواجهة الإسلام الذي يتغير بسرعة ، وبصورة جوهرية وإن الغرض من عقد هذا المؤتمر هو إيجاد [illegible] وفعالية الطرق لتقييد [illegible] تنصير المسلمين» .

وبدلا من الطرق التقليدية للتنصير، عمد مؤتمر «كولورادو» خطة التنصير من خلال الاختراق من داخل الفرق ومن داخل الثقافة الإسلامية وبالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية والعمالة المدنية الأجنبية وتحاشي مواجهة إسلام الكتاب والسنة، واختراق المسلمين من خلال الثقافات الأسطورية المختلطة بثقافات الوثنيات ل وفقر وبعد تغريب وتعجيب من رجال الدين تستخدم الكوارث والحروب والمجاعات والأزمات في العالم الإسلامي، لتصبح معونات الغذاء والدواء التي تقدمها إرساليات التنصير هي المقابل للانخلاع من الإسلام! بل وأن في هذه الكوارث الشرط الضرورى للتحول عن الإسلام إلى النصرانية!

نعم لقد خطط المنصرون مرحلة العولمة هذه، فقالوا: إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، وهو حركة دينية مخططة تخطيطا يفوق قدرة البشر والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا

إن إسلام الكتاب والسنة أرض صلبة ووعرة بالنسبة للتنصير لذلك يجب اختراق الإسلام في صدق ودهاء

ولكي يكون هناك تحول إلى النصرانية، فلا بد من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس خارج حالة التوازن التي اعتادوها وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية، كالتفرقة العنصرية، أو الوضع الاجتماعي المتدني، وفي غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة لن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية

إن تقديم العون الدولي للخطة قد أصبح أمرًا ملحوظًا في عملية التنصير، وإن إحدى مفاجآت العصر، أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل التنصيري، فأصبحت أكثر تقبلاً للتنصير»[٣١].

هكذا وبدلاً من الاعتراف المتبادل والتعايش بين أهل الديانات السماوية الثلاث - وهو ما صنعه الإسلام بإزاء اليهودية والمسيحية، وكل الرسالات والكتب والنبوات وبدلاً من التعاون على تفعيل منظومة القيم الإيمانية باتت بروتوكولات التنصير وقسوسته تخطط لعولمة الدين، أي اجتياح الإسلام على وجه الخصوص لتتكامل منظومة العولمة التي تمثل اجتياح الغرب للشرق، والشمال للجنوب، والحضارة الغربية للحضارات غير الغربية في مختلف الميادين في «المنظومة القيم»، و«المفاهيم ومصطلحات حقوق الإنسان»، وفي «الاقتصاد» وحتى في «الدين»!

* * *

---

[٣١] نص الترجمة العربية لوثائق مؤتمر كولورادو التنصيري خطة لغزو العالم الإسلامي طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي مالطا وهو ترجمة للأصل الإنجليزي الذي نشرته MARC في كاليفورنيا سنة ١٩٧٩م. وانظر كتابنا (الغارة الجديدة على الإسلام) طبعة دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨م

لكن.. هل العولمة قضاء وقدر..

لا فكاك من الاندماج فيها؟؟

على درب الدكتور طه حسين - في مرحلة انبهاره بالنموذج الغربي - عندما قال عن هذا النموذج: إنه طريق التقدم والتحضر الوحيد، الذي لا تعدد فيه، وإننا يجب أن نسير فيه وأن نأخذه بحلوه ومره، ما يُحب فيه وما يُكره، وما يُحمد فيه وما يُعاب - على هذا الدرب من دروب الهزيمة النفسية، والإحساس بالحرج من ثقافتنا العربية الإسلامية، والدونية إزاء الثقافة الغربية، والعجز عن مقاومة غزوها لبلادنا - على هذا الدرب البائس - الذي تراجع عنه طه حسين فيما بعد[٣٢] - يسير نفر من «المثقفين» إزاء العولمة داعين إلى التسليم لها، وإلى الاندماج فيها، باعتبار ذلك قضاء وقدرا - فهي في نظرهم طوفان جارف، أو على الأقل قطار.. إما الركوب فيه وإما الضياع!

والجدير بالملاحظة أن مرحلة العولمة، أي تصاعد عولمة الغرب بالتغريب إلى درجة الاجتياح، كأنها قد حققت بالنسبة لهذا النفر من «المثقفين» حلم حياته! فهم، في الأصل، متغربون، أمضوا حياتهم في الدعوة إلى «حداثة» على النمط الغربي، حتى بعد أن تحول الغرب إلى عدمية وعبثية وتفكيك «ما بعد الحداثة»!

---

(٣٢) انظر كتابنا (الإسلام بين التنوير والتزوير) ص ١٥٨ - ١٨٠

وهم لا يشعرون بأي انتماء إلى الثقافة العربية الإسلامية - التي يصنفونها في عداد «الثقافات التقليدية»، التي يجب أن تتوارى، مخلية المكان للثقافة «الحداثية الغربية» ولقد كانوا، في مرحلة ما قبل العولمة، يشعرون بقدر من الحرج لاختيارهم، دون أمتهم، النموذج «الوافد» دون النموذج «الموروث»، فلما جاء الاكتساح فرحوا به، ظانين أنه يريح ضمائرهم من مسئولية الاختيار والتفضيل، لو فضلوا على الموروث. فالأمر قد أصبح، في نظرهم، احتياجات وقضاء وقدرا لا خيار فيه. ومن ثم فلا لوم على الاختيار حيث لم يعد هناك خيار.

ومن الطريف المضحك المبكي أن يتحدث هذا النفر من «المثقفين» عن العولمة، كقضاء وقدر، يجب استسلام الذات الثقافية له، في ذات الوقت الذي يتمردون فيه على القضاء والقدر الذي كان من الله! ولقد كتب أحدهم في أحد المؤتمرات التي عقدت عن العولمة بعنوان: «إن العولمة (Globalization) هي ظاهرة التوحيد الثقافي والاقتصادي، التي يشهدها عالم اليوم، مع عدم إغفال للنواحي السياسية والاجتماعية وإن الحداثة الغربية عموما، والعولمة المعاصرة خصوصا، وما أفرزت من ثقافة، في طريقها إلى أن تصبح ثقافة عالمية وكونية شاملة بكل ما في الكلمة من معنى، فلا شيء قادر على الوقوف في طريقها، ولن تستطيع الثقافات التقليدية أن تصمد شيئا أمام ثقافة العولمة التي لا تصدها الحدود أحببتها أو كرهتها، وافقت أو رفضت...»[٣٣]

---

(٣٣) د. تركي الحمد: العولمة بلا هوية، بحث و«العولمة» بحث في مؤتمر القاهرة [illegible] سنة ١٩٩٨ م عن العولمة والعصابة بهوية الثقافية» صحيفة الرياض السعودية ملحق (الأربعاء) في ١٥ أبريل سنة ١٩٩٨ م

فالعولمة، قد حطمت ثقافة الحداثة الغربية، فضلاً عن أنها لا تمكن من حماية الثقافات التقليدية، ومنها الثقافة العربية الإسلامية!

وبصرف النظر عن الهجاء الذي يصيب الثقافات من هذا النوع من "المثقفين" من مثل وصفها بأنها "مغصوبة تجري مع الموجة" وصاحبة الهوية المستلبة المفروضة، وصلت إلى حالة العماء الثقافي لدى هؤلاء" وبصرف النظر عن هذا الهجاء، فإنه يكشف عن أزمة الانتماء الوطني والقومي والحضاري التي يعيشها هؤلاء المتغربون، فهم يريدون أن ينتقل المواطنون ذوو الثقافة التامة "الخام" إلى مواقعهم لمزاحمة على أن تحتلها ثقافة حداثية غربية مثقفون غير عربية قد أصبح قضاء وقدرا، لا سبيل له غير استسلام الذات الثقافية إليه!

إنهم يقولون:

- إن العولمة هي ثمرة من ثمرات التقدم المذهل في ثورة وسائل الاتصال الحديثة، تمثلت في جعل العالم قرية صغيرة، سقطت فيها حواجز الهويات الثقافية.

ونحن نقول لهم: نعم، لقد حولت ثورة الاتصال الحديثة العالم إلى قرية صغيرة، لكن سكان هذه القرية وسكانها ليسوا سواء، حتى نتحدث عن اندماجهم وزوال هويات الثقافات وأهل هذه القرية الواحدة منهم القاتل، والمقتول، ومنهم من يغتصبون الأرض ويستبيحون العرض ويدنسون المقدسات، ومن يُخرجون من ديارهم وتهدم مقدساتهم، ويعيشون في مقابر جماعية، إن شعوبًا بعينها، دون شعوب الأمم الأخرى، تحرم

من حق [illegible] في تقرير مصيرها [illegible] ومن حق [illegible] في أن تحكمه [illegible] الذي يريد [illegible] وهي وحدها التي تستطيع [illegible] بوطنية وتفرضه على أرضها [illegible] وتفرض [illegible] على شعوبها وتطبق عليها أحكام [illegible] في [illegible] لأمم متحدة وتنتشر على أرضها القواعد الأجنبية، وترتفع في [illegible] الأساطيل [illegible] وتنزع سلاحها [illegible] وتهدد عقائدها وعاداتها [illegible] [illegible] في وسائل الاتصال الحديثة [illegible] القرية العالمية الواحدة [illegible] فأين هذا الانسجام الذي تتحدثون عنه بين أمم القرية العالمية الواحدة؟!

من أين [illegible] [illegible] [illegible] الاعتقاد [illegible] هل هذه القرية واحدة؟ [illegible] وهل يمكن أن تكون هذه [illegible] متعددة [illegible] [illegible] [illegible]؟ [illegible] بين ظالم ومظلوم؟ [illegible] [illegible] [illegible] وطن ومن يحكمون [illegible] [illegible] في الأرض؟

● ثم [illegible] وأنتم تتحدثون عن القضاء والقدر [illegible] ثقافة [illegible] [illegible] [illegible] صدمتم [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] وحرية الاختيار؟ [illegible] وعن التعددية؟ [illegible] أم هل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تبشرون بوحدة الرأي ووحدة الثقافة ووحدة التوجه، [illegible] أن مصدرها حداثة غربية، وهدفها [illegible] هوية ثقافتنا العربية الإسلامية؟! [illegible] وهل [illegible] [illegible] الإبداع الذي تتحدثون عنه [illegible] [illegible] خصوصيات في الهويات الثقافية والتعددية في [illegible] حضارية؟ [illegible] التعددية الحضارية [illegible] في الهويات

الثقافية ــ في ظل هذا الخلل القائم بين هيمنة الشمال وبين استضعاف الجنوب ــ سيجعل «المرسل» دائما هو الشمال، و«المتلقي» دائما هو الجنوب ــ وسيحكم علينا بالتبعية لهذه الحداثة الغربية المتعولمة، دائما وأبدا!.

ذلك لأن التعددية، التي يراها الإسلام سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل ــ في كل عوالم الخلق ــ المتعددة، والتمايز الحضارية، والإنسانية، والفكرية، والثقافية ــ التي هي الحافز على التميز، ومن ثم على الإبداع، وهي من ثم السبيل إلى الغنى والثراء والرصيد العلمي في العلوم والثقافات ــ بينما العولمة هي الأحادية الثقافية، التي تشيع التقليد ــ الذي نشكو منه ــ وتحول دون الإبداع ــ الذي نحن فقراء فيه ــ.

* * *

وأخيرًا .. ما العمل؟؟

إن [illegible] بعد الهيمنة الغربية من مرحلة «الغزو [illegible] والترهيب» إلى مرحلة القسر على العولمة ، أمام [illegible] وتحديات جديدة ، تحتاج من العقل العربي والمسلم في [illegible] أصحاب [illegible] الوطنية والقومية والإسلامية إلى [illegible] وتفكير [illegible] حلول ، تحول هذه [illegible] إلى برامج [illegible] وضع في [illegible] التنفيذ والتطبيق

● وفي مواجهة تحدي «الهزيمة النفسية» وهو أخطر تحديات [illegible] معاصرة [illegible] التي [illegible] وبدلًا من [illegible] الأمة من منتقدين [illegible] في مواجهة هذا التحدي لا بد من [illegible] التاريخية للأمة ، وبث حتى [illegible] «التعامل مع الواقع» وهو [illegible] ومن «الاعتراف بالواقع» وهذا هو [illegible] المأساة !

إن أمتنا قد عاشت [illegible] وقدمت [illegible] وبث [illegible] ، [illegible] تاريخها في مواجهة التحديات [illegible] ولو أنها اعترفت بالأمر الواقع ما كان لها [illegible] ، بل ولا وجود

لقد عرفت الفتوحات الإسلامية «واقع» عشرة قرون من الاستعمار الإغريقي والروماني للشرق ولم تعترف بذلك الأمر الواقع الذي استمر تلك القرون

وقد خاضت دول الفروسية الإسلامية – النورية والأيوبية والمملوكية – «الواقع» بحروب الصليبية التي دامت قرنين من الزمان (٤٨٩ – ٦٩٠هـ، ١٠٩٦ – ١٢٩١م).

ولم تعرف الأمة «بالواقع» الذي حول [illegible] إلى مستعمرة لاتينية، وحول المسجد الأقصى إلى كنيسة لاتينية تسعين عاما.

ولم تعترف الأمة «بالواقع» الذي صنعت فيه الصليبية [illegible] شهيرة، وفرضوا فيه حربة على أهلها. ولا «بالواقع» الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ – ١٨٠١م) التي حولت الأزهر الشريف إلى إصطبل لخيل بونابرت. ولا «بالواقع» الاستعمار الفرنسي الذي جعل الجزائر «أرضا فرنسية» لقرن وثلث القرن. ولا «بالواقع» الذي أقامه الاستعمار الغربي الحديث التي عمت وطن العروبة وعالم الإسلام، ولم يبق منه سوى [illegible] لعشر.

ولم تعترف الأمة طوال تاريخها بهذا «الأمر الواقع» الذي فرضه عليها المتحدون، وإنما تعاملت معه على نحو أدى إلى تخطيه وطوى صفحته من الوجود.

ونحن اليوم، في مواجهة تحدي الهيمنة الغربية، محتاجون إلى منهاج الأصول في «قراءة» التاريخ، وإلى «الوعي» بالتاريخ ينعش ذاكرة الأمة لتدرك رسالتها، وتعرف أن رصيدها هائل، ومنهاجها التاريخي في التعامل مع «الواقع» وتحدياته. فقد ظلت «العالم الأول» على ظهر هذه الأرض لأكثر من عشرة قرون، بينما عمر الغرب كعالم أول لم يكمل سوى قرنين من الزمان.

● ولن ننخدع بما يكتبه الغربيون أنفسهم عن الأمراض الحضارية القاتلة التى تأخذ بخناق النموذج الحضارى الغربى كمثل - هو الآخر - معالجة هذه الهزيمة النفسية التى أصابت نفر من «المثقفين» المتغربين وكشف بشاعة قدر من «تكريس مشروع»، و«الثقة موضوعية» بالذات، والأمل فى الله الذى لا ييأس من روحه ونصره إلا القوم الكافرون!

● ولابد فى مواجهة العولمة الغربية من التمييز فى الغرب بين مستويات ثلاث:

- فهناك الإنسان الغربى، وهو لا مشكلة بيننا وبينه بل له فى بعض دوائره الفكرية وتياراته السياسية الكثير من التفهم والمناصرة والتأييد.

وهناك العلم الغربى وخاصة فى ثمرات إبداع العبقرية الغربية فى العلوم الطبيعية وتطبيقاتها وفيه تتمثل «الحكمة» التى نحن مدعوون، بتعبير الدين والدنيا، إلى طلبها والتماسها على أهلها ولاستلهام حقائقها وصوابها

وهناك أخيراً - «المشروع الغربى»، الذى لا نعاديه إلا عندما يعادى مشروعنا العربى والإسلامى وهكذا، يجب أن نعرف الغرب، فلا نخلط بين مستوياته وشرائحه، ولا نحرم أمتنا من تأييد الأنصار والأصدقاء فمن الغرب مصادر قوة مهمة، إذ نحن أحسنا التعامل مع الإنسان الغربى، وثمرات الفكر الغربى، وإمكانات العلم الغربى

● وفى الاقتصاد لابد كى نواجه الاجتياح الغربى من زراعة غذائنا فى أرضنا ونكامل صناعاتنا وثرواتنا فى

الإطار العربى والإسلامى، وصولا إلى السوق المشتركة والكتلة الاقتصادية المتكاملة، التى تتعامل مع العولمة من منطلق ومنطق «الاعتماد المتبادل» الحقيقى، لا الموهوم مع جعل الأولوية فى الاعتماد المتبادل لحضارات الجنوب وليس الغرب الساعى إلى نفى الآخرين

فعلى قاعدة التكامل الاقتصادى ينهض التفعيل للمنظمات الاقليمية العربية والإسلامية .

● وفى الفكر والثقافة، لابد من تنمية تيار وتوجه الإحياء والتجديد والاجتهاد، وهذا هو الوسط العدل بين تيارى الجمود والتقليد والاستلاب الحضارى والتبعية والتغريب

● وفى العلاقة بين حضارتنا الإسلامية والحضارات الأخرى لابد من الإيمان بالتعددية الحضارية فالعالم منتدى حضارات وليس حضارة واحدة والعلاقة بين هذه الحضارات يجب أن تكون «تفاعلا» يبرأ من غلو «الانغلاق» وغلو «التبعية والذوبان» كما يجب أن تقوم هذه العلاقة على فلسفة «التدافع والتسابق والتنافس»، التى ترفض غلو «الصراع» وغلو «السكون والموات» .

* * *

تلك هى سبل التجديد والتأكيد والإبراز لعناصر هوية ثقافتنا العربية الاسلامية، فى مواجهة اجتياح العولمة الغربية

إن الأرض التى نعيش عليها، ليست مجرد تراب أو طين

وإنما هى : الوطن . . ووعاء الذكريات . . وديوان التاريخ . . ومسيرة الأجداد . . ومصنع المقدسات .

– واللغة التى نتكلم بها ، ليست مجرد أداة تعبير ووسيلة تخاطب . . وإنما هى : الفكر . . والذات . . والعنوان . . بل ولها قداسة المقدس ، التى أصبحت لسانه منذ أن نزل بها نبأ السماء العظيم . .

– والعقيدة التى نتدين بها ، ليست مجرد «أيديولوجية» . . وإنما هى : المطلق . . والعلم الشامل والكلى والمحيط . . ووحى السماء ، المتجاوز للنسبى . . إنها الحق المعصوم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . .

– ومنظومة القيم التى تمثل مرجعيتنا فى السلوك . . ليست نسبية ، ولا مرحلية . . وإنما هى : جزء من الثوابت ، وبعض من المقدسات . .

– وإن آثارنا ليست مجرد أحجار . . وإنما هى : الإبداع التاريخى للذات التاريخية ، تعبيرا عن الروح والوجدان والمثل الجمالية . .

– وإن منتجاتنا ليست مجرد سلع للإشباع المادى . . وإنما هى : منتجات وطنية ، لها مذاق خاص . . إنها الزينة للبلادنا ، ولأجسادنا . . وإشباع للروح مع الجسد . .

بهذه الروح . . وبهذه المعالم على طريق الإحياء والتجديد ، تواجه أمتنا تحديات العولمة ، وتنجو من الاجتياح الغربى ، وتواصل مسيرتها الحضارية ، كما صنعت قديما – ودائما – فى مواجهة التحديات الشرسة ، التى لم تهدد هويتها فقط ، وإنما هددت الوجود ! ؟

صدر من سلسلة (فى التنوير الإسلامى)

١ - الصحوة الإسلامية فى عيون غربية .	د . محمد عمارة
٢ - الغرب والإسلام .	د . محمد عمارة
٣ - أبو حيان التوحيدى	د . محمد عمارة
٤ - دراسة قرآنية فى فقة التجدد الحضارى .	د . سيد دسوقى
٥ - ابن رشد بين الغرب والاسلام .	د . محمد عمارة
٦ - الانتماء الثقافى	د . محمد عمارة
٧ - تنصير العالم .	د . زينب عبد العزيز
٨ - التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات .	د . محمد عمارة
٩ - صراع القيم بين الغرب والإسلام .	د . محمد عمارة
١٠ - د . يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية . والمشروع الفكرى	د . محمد عمارة
١١ - تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم .	د . سيد دسوقى
١٢ - عندما دخلت مصر فى دين الله .	د . محمد عمارة
١٣ - الحركات الإسلامية رؤية نقدية .	د . محمد عمارة
١٤ - المنهاج العقلى .	د . محمد عمارة
١٥ - النموذج الثقافى .	د . محمد عمارة
١٦ - منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق .	د . صلاح الصاوى
١٧ - تجديد الدنيا بتجديد الدين	د . محمد عمارة
١٨ - الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة .	د . محمد عمارة
١٩ - نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم .	د . محمد عمارة
٢٠ - التقدم والاصلاح بالتنوير الغربى .	د . محمد عمارة
٢١ - فكر حركة الاستنارة . . وتناقضاته .	د . عبد الوهاب المسيرى
٢٢ - حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجية جارودى .	د . شريف عبد العظيم
٢٣ - أسلامية الصراع حول القدس وفلسطين .	د . محمد عمارة
٢٤ - الحضارات العالمية تدافع؟ . . أم صراع	د . محمد عمارة
٢٥ - التنمية الاجتماعية بالغرب ؟ . . أم بالاسلام؟؟	د . عادل حسين
٢٦ - الحملة الفرنسية فى الميزان .	د . محمد عمارة
٢٧ - الإسلام فى عيون غربية . . دراسات سويسرية	ترجمة أ . ثابت عيد
٢٨ - الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة . . أم تفتيت واختراق .	د . محمد عمارة
٢٩ - ميراث المرأة وقضية المساواة .	د . صلاح الدين سلطان .
٣٠ - نفقة المرأة وقضية المساواة .	د . صلاح الدين سلطان
٣١ - الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية	د . محمد خاتمى
٣٢ - مخاطر العولمة على الهوية الثقافية	د . محمد عمارة

الفهـــرس

الموضوع الصفحة

تحرير مضامين المصطلحات : الثقافة .. والهوية .. والعولمة ٣
نظرة تاريخية على الجذور والخلفيات : مرحلة غواية الترغيب والترهيب ١٥
مرحلة العولمة ٢٤
- فى منظومة القيم ٢٥
- وفى حقوق الإنسان ٢٩
- وفى الاقتصاد ٣١
- وفى الدِّين ٣٣
لكن .. هل العــولمة قـضــاء وقـدر .. لا فكاك من الاندماج فيها ؟ ٣٧
وأخيرا .. ما العمل ؟؟ ٤٢

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨
تم طبع بمطابع الشركة بمدينة السادس من أكتوبر

إلى القارئ العزيز . .

فى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث . .

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولنقدم هذا التنوير الإسلامى للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر :

- د . محمد عمارة
- د . حسن الشافعى
- ا . فهمى هويدى
- د . سيد دسوقى
- د . عبدالوهاب المسيرى
- د . عادل حسين
- المستشار طارق البشرى
- د . محمد سليم العوا
- د . جمال الدين عطية
- د . كمال الدين إمام
- د . شريف عبدالعظيم
- د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين . .

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر